منهج ابن عرفة في التفسير

Ibn Arafah's approach to interpretation

إعداد

عايضة بنت عواض الشمراني

Ayda Awad Al-Shamrani

حاصلة على درجة الماجستير تخصص: التفسير وعلوم القرآن

كلية الدعوة وأصول الدين - قسم الكتاب والسنة - جامعة أم القرى

Doi: 10.21608/JASIS.2023.282243

استلام البحث ١٨ / ١١ / ٢٠٢٢

قبول البحث ٢ / ١٢ / ٢٠٢٢

عايضة بنت عواض الشمراني (٢٠٢٣). منهج ابن عرفة في التفسير. ***المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، ٧(٢٢)، يناير، ٣٥٥- ٣٨٨.

http://jasis.journals.ekb.eg

منهج ابن عرفة في التفسير

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز منهج ابن عرفة في تفسيره، وتسليط الضوء على شخصيته وكتابه الذي لم يكتبه بخطه، بل كان من إملائه على تلامذته، مع بيان القيمة العلمية للكتاب وهو من أشهر كتب التفاسير في القرن الثامن الهجري، وذلك بما ضمنه من منهج رزين ومحتوى قيم. وهو متوسط بين المختصرات والمطولات ، وقد اشتمل البحث على مقدمة، ومنها: بيان أهمية الموضوع في دفع الشبهات والافتراءات التي تثار حول تفسير بعض الآيات من قبل أصحاب العقائد الزائفة . ومبحثين : الأول في التعريف بابن عرفة وبتفسيره، والثاني في منهجه فيه، ثم خاتمة تضمنت أهم النتائج، وأبرزها: بكونه جامعًا بين العلوم العقلية كالمنطق، والعلوم النقلية كالتفسير والعربية، مع الاهتمام بالجوانب البلاغية، وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي في الترجمة للإمام ابن عرفة والتعريف بكتابه، والمنهج الوصفي الاستنباطي في بيان منهجه في التفسير.

الكلمات المفتاحية : ابن عرفة – منهج - تفسير ابن عرفة - كتاب .

Abstract:

The objects of this study are to highlight the methodology of ibn Arafa, born Mohammed ibn Mohammed ibn Arafa al-Warghammi (deceased in 1401), his personality and the academic value of his exegesis. Ibn Arafa's exegesis, which wasn't written in his own hand but was dictated thereby to his students, is neither too effusive nor too brief. It was and still is among the most famous exegeses of the 8th century because of its thoughtful methodology and valuable content. This research paper is composed of an introduction, two chapters, and a conclusion. In the introduction, the researcher explained that the main reason for choosing the exegesis subject hereof is its importance in refuting the spurious and warped interpretations of some of the Quranic verses by the various aberrant sects. The first chapter contains a brief biography of Ibn Arafa and an overview of his exegesis. The second chapter contains an overview of Ibn Arafa's methodology on Quranic interpretation. The conclusion contains the key findings arrived at by the researcher, of which main one is that Ibn Arafa's methodology was based on a combination of intellectual sciences such as logic and theological sciences such as interpretation and

the Arabic language with emphasis upon the rhetorical aspect. This research relied on the analytical-descriptive approach in addressing the biography of Imam Ibn Arafa and in overviewing his exegesis, while using the deductive descriptive approach in addressing Ibn Arafa's methodology on Quranic interpretation.
Keywords: Ibn Arafa-Methodology- Ibn Arafa's Exegesis-Book.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه هدى للمتقين وتولى حفظه من التغيير والتحريف على مرّ السنين ثم الصلاة والسلام على معلم البشرية المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن اتّبع هداه إلى يوم الدين المنزل عليه (بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [النحل:٤٤]

أما بعد:

فإنّ نعمة العلم من أعظم النعم وأجلها به نهتدي في دروب الحياة وشؤنها، والبحث في كتب أهل العلم أكرمها وأرفعها شأنا، وقد تفننت كتب التفسير وتعددت مسالكها وسبلها، فأضحت دراسة مناهجها أمرًا لازما لمعرفة الطرق التي أبدعت هذه التفاسير وللوقوف على اتجاهات مؤلفيها ومنطلقاتهم التي أقاموا عليها هذه الكتب، وقد أحرز مسار مناهج المفسرين بحضور كبير في الساحة العلمية في وقتنا الحاضر؛ إما بالتأليف الجامع أو الخاص لدراسة منهج تفسير معين، سواء بدراسة منهجه دراسة شمولية، أو دراسة لمنهجه في قضية مقيدة.

ومن هذه التفاسير تفسير ابن عرفة الورغمي وقد كان له منهج منفرد في التفسير فأحببت أن أسلط الضوء عليه في الأسطر القادمة.

أسباب اختيار الموضوع

-التعرف على الإمام ابن عرفة بتسليط الضوء على شخصيته وكتابه.

-بيان منهج ابن عرفة وتوضيح القيمة العلمية للكتاب.

-إبانة أقوال ابن عرفة التفسيرية وأثرها في التفسير.

-دفع الشبهات والافتراءات التي تثار حول تفسير بعض الآيات من قبل أصحاب العقائد الزائفة.

أهمية الموضوع :

إعانة القارئ لتفسير ابن عرفة على التعرف على الملامح العامة لمنهجه فيه، لأنه لم يكتب هذا التفسير بخطه، ولم يفصل في تقدمته بما يرشد القارئ ويدله.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى:

- إظهار المنهج الذي اعتمد عليه ابن عرفة في تفسيره.
- الوقوف على جهود ابن عرفة في تفسير القرآن الكريم.
- إبانة المسالك العلمية الدقيقة التي تدفع زيف الطاعنين في القرآن الكريم.

منهج البحث :

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي في الترجمة للإمام ابن عرفة والتعريف بكتابه، والمنهج الوصفي الاستنباطي في بيان منهجه في التفسير.

الدراسات السابقة

بعد الاطلاع والتتبع وجدت بحثًا منشورًا بعنوان: محمد بن عرفة ومنهجه في التفسير، وسلة بلعيد بن حمدة أستاذة علوم القرآن والتفسير، مجلة جامعة الزيتونة،١٩٩٣م، وهو متفق مع بحثي في الموضوع، ومفترق عنه في المحتوى، ويتضح ذلك في أمرين:

اتسم بحثها بالعموم والإيجاز، واتسم هذا البحث بشيء من التفصيل والتمثيل، ومن ذلك ما ذكر في تفسير القرآن بالقرآن، أشارت الباحثة إلى انتهاج ابن عرفة هذا المسلك مع التمثيل عليه بعموم، وفي هذا البحث توضيح وتمثيل لكل وجه من أوجه تفسير القرآن بالقرآن، ومثله في تفسير القرآن بالحديث، كما أنها لم تتعرض للروايات الإسرائيلية ونقد ابن عرفة لها.

اتسم بحثها بالتعرض لكافة الجوانب التي حواها تفسير ابن عرفة مع الإيجاز بإعطاء نبذة مختصرة في كل جانب، واتسم هذا البحث بالتركيز على الجانب التفسيري وإيضاح طريقة ابن عرفة فيه، مع الإشارة إلى بقية العلوم التي تضمنها تفسيره.

كما توجد بعض الدراسات التي اهتمت بجانب محدد في علم من العلوم، عند ابن عرفة في التفسير، وفيها بيان لمنهجه في هذا الجانب على شكل الخصوص، فمنها:

١. منهج ابن عرفة في الاستشهاد بالشاطبية في تفسيره: دراسة استقرائية، مها عبد العزيز عبد الغني الحبار، مجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة، ع٣٦، كلية الإمام الأعظم، بحوث ومقالات،٥٧١-٥٩٣، ٢٠٢١م.
٢. منهج الإمام ابن عرفة في توجيه القراءات من خلال تفسيره، عبد الله بن خالد بن سعد الحسن، مجلة العلوم الشرعية، ع٦٦، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بحوث ومقالات، ٨١- ١٦٤، ٢٠٢٢م.

خطة البحث :

يتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة وفيها أسباب اختيار الموضوع وأهميته.

المبحث الأول: التعريف بالإمام ابن عرفة، وكتابه التفسير

المطلب الأول: ترجمة موجزة لابن عرفة، ومكانته العلمية

المطلب الثاني: التعريف بتفسير الإمام ابن عرفة

المبحث الثاني: منهج ابن عرفة في التفسير، وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: التقدمة للكتاب والمنهج العام في التفسير.
المطلب الثاني: التفسير بالمأثور عند ابن عرفة.
المطلب الثالث: إيراد الجوانب اللغوية والبلاغية في التفسير عند ابن عرفة.
المطلب الرابع: تنوع العلوم التي تضَمَّنَها تفسيره.
الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.
المصادر والمراجع .

المبحث الأول: التعريف بالإمام ابن عرفة، وكتابه التفسير:

المطلب الأول: ترجمة موجزة للإمام ابن عرفة، ومكانته:

أولا: ترجمة موجزة له:

هو أبو عبد الله، محمد بن محمد بن محمد بن عرفة بن حماد الوَرْغَمِّي[١] النسب، البربري الأصل، التونسي النشأة والتربية التعليم، المالكي المذهب، المفسر، الفقيه، الأصولي.[٢]

ولد بمدينة تونس سنة:٧١٦ه، أو قبلها بسنة كما ذكر ابن قنفذ[٣]، وكان مولعاً بالعلم منذ نعومة أظفاره، متجهاً إلى علوم اللغة وأصول الدين بالإضافة إلى الأصول والمنطق، مجتهداً في تحصيل العلوم، على أبرز مشايخ عصره، ومن أشهرهم ممن كان لهم الأثر البيّن في تكوينه العلمي، وثرائه وتنوعه المعرفي: والده الشيخ محمد بن محمد بن عرفة (٧٤٨ه)، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن سلامة التونسي الأنصاري (٧٤٦ه)، وأبو عبد الله محمد بن يحيى بن عمر المعافري المعروف بابن الحباب (٧٤٩ه)، وأبو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري التونسي، قاضي الجماعة (٧٤٩ه)، وغيرهم.[٤]

ثم برع من تلامذته خلق كثير، من أشهرهم: شيخ الإسلام أبو القاسم بن أحمد البرزلي التونسي، مفتيها وحفظها وإمامها بالجامع الأعظم (٨٣٣ه)، ومحمد بن خلفة الأُبِّي التونسي (٨٢٧ه)، وأحمد بن محمد البسيلي (٨٣٠ه)، وأبو القاسم الشريف الإدريسي السلاوي، وهؤلاء الثلاثة هم رواة تفسيره، وممن أخذ عن ابن عرفة من المشهورين

---

(١) نسبةً إلى قبيلة من هوارة ببلاد المغرب، ذيل لب اللباب (ص: ٢٣٥)، البدر الطالع (٢٥٥/٢).
(٢) له ترجمة في الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون (٣٣١/٢)، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج، للتنبكتي (٤٦٣)،
(٣) انظر: الوفيات، (ص:٣٨٠)، تراجم المؤلفين التونسيين (٣٦٣/٣).
(٤) ذكرهم: ابن العماد في شذرات الذهب، (٦١/٩). وابن مخلوف في شجرة النور الزكية، (٣٢٦/١)، وغيرهم كثير.

أيضاً: الإمام المقرئ محمد بن محمد ابن الجزري (٨٣٣ه)، والحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢ه).[٥]

والذي يظهر أنه تأثر بالمذهب الأشعري[٦]، خاصة في باب الإيمان والصفات[٧]، حيث إنه المذهب السائد في عصره[٨].

وقد توفي ابن عرفة بتونس المغرب سنة ٨٠٣ه، عن عمر يناهز سبعة وثمانين عامًا، بعد أن تولى عددًا من المناصب، كإمامة جامع الزيتونة سنة٧٥٠ه، والخطابة سنة٧٥٢ه، ثم تولى القضاء والإفتاء سنة ٧٥٣ه[٩]، وخلف ثروة علمية في فنون متعددة، كالفقه، والحديث، وعلم الكلام، والمنطق، إلى غير ذلك من العلوم[١٠]، ومن أهمها: التفسير، وسيأتي التعريف به في الأسطر التالية.

ثانيًا مكانته العلمية:

تظهر مكانة ابن عرفة العلمية، من خلال ثناء العلماء عليه، ومناصبه التي تولاها، وآثاره العلمية التي خلفها.

فأما ثناء العلماء عليه، فإنه تبوأ مكانة عالية في علم التفسير والفقه وأصوله، وله مكانة علمية رفيعة بين تلاميذه ومعاصريه، تظهر في ثناء جلة من العلماء عليه،

---

(٥) انظر المرجعين السابقين.

(٦) نسبة إلى الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، ت:٣٢٤ه، والأشاعرة: فرقة كلامية اتخذت البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاججة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، ويثبتون الصفات السبع: الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، مع تأويل غيرها من الصفات الخبرية كالوجه واليدين وغيرها، وهم أقرب إلى السنة والحق من الفلاسفة والمعتزلة، خاصة الأوائل منهم كأبي الحسن الأشعري، وقد رجع عن كثير من آرائه الكلامية وألف كتاب الإبانة عن أصول الديانة. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٩٢،٨٣/١).

(٧) فيكفي عنده في حصول الإيمان مجرد التصديق، انظر تفسير ابن عرفة، (٧٠٩/٢)، كما أنه يأول بعض الصفات في تفسيره، كالغضب بالإرداة، انظر: تفسير ابن عرفة، (٩٨/١)، واليد بالقدرة، انظر تفسير ابن عرفة، (٤٨٦/٥)، وهذا يخالف ما عليه أهل السنة والجماعة من أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ومن إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، وما أثبته له نبيه ﷺ، ونفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه ونفاه عنه نبيه،= من غير تعطيل ولا تحريف ولا تكييف ولا تمثيل، انظر: السنة، لعبد الله بن أحمد (١٧٣/١)، العقيدة الواسطية، لابن تيمية (ص:٣٩)، فعفا الله عن ابن عرفة فيما أخطأ، وجزاه خيرًا فيما أصاب.

(٨) انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للمقريزي (١٩٥/٤).

(٩) معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، (٦١٩/٢)، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا (٣٤٢/١). وقد ذكر هذا أغلب من ترجم له.

(١٠) انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي (٢٤٠/٩)، طبقات المفسرين، للداوودي المالكي (٢٣٦/٢).

حتى أثنى عليه بعض شيوخه، وقد ساعده في ذلك بعض المؤثرات التي أثرت في شخصيته، منها ما منحه الله من أسرة كريمة شُهد لها بالصلاح والتقى، وما أنعم الله عليه من محبة للعلم وأهله، ورزقه من فطنة وذكاء.

ومن ذلك ما ذكر عن الأبلي أنه كان يثني عليه كثيراً، ويقول: "إنه لم ير ممن قرأ عليه مثله.[١١]

وقال فيه الحافظ ابن حجر العسقلاني: "شيخ الإسلام بالمغرب... تمهر بالفنون، وأتقن المعقول، إلى أن صار إليه المرجع في الفتوى ببلاد المغرب، وكان معظماً عند السلطان فمن دونه مع الدين المتين والخير والصلاح"[١٢].

وقال تلميذه أبو حامد ابن ظَهِّيرة: "لم يكن بالمغرب من يجري مجراه في التحقيق ولا من اجتمع له من العلوم ما اجتمع له، تأتي إليه الفتوى من مسيرة شهر، له مؤلفات مفيدة، لم يخلف بعده مثله"[١٣].

وأما مناصبه فقد تولى الإمام ابن عرفة عددًا من المناصب، من ذلك: إمامة جامع الزيتونة سنة٧٥٠ه، والخطابة سنة٧٥٢ه، ثم تولى القضاء والإفتاء سنة ٧٥٣ه[١٤].

وأما آثاره العلمية: فقد ترك الإمام ابن عرفة من المؤلفات الدالة على مكانته، والتي رفعت ذكره خالداً بعد وفاته، حتى انتشرت واشتهرت، واهتم بها طلاب العلم، وقد تنوعت مصنفات ابن عرفة، وأجاد الرصاع في وصف هاتيك المصنفات بقوله: "ألف η تآليف عجيبة ومصنفات غريبة، منها: تأليفه الفقهي، لم يسبق به في تحقيقه وتهذيبه وجمعه وأبحاثه الرشيقة، وحدوده الدقيقة وما فيه من معجزات أبحاثه المبتكرة وفوائده التي هي في كل أوراقه منتشرة، وتأليفه المنطقي فيه من القواعد والفوائد ما يعجز عنه كبار الفحول على صغر جرمه وكثرة علمه، وتأليفه الفرضي، وتأليفه الأصولي الديني، والفقهي، وغير ذلك من إملاءاته في الأحاديث النبوية والآيات القرآنية والأحكام الشرعية"[١٥].

وفيما يلي نبذة عن بعض مصنفاته في مختلف الفنون:

التفسير: ولم يُكتب هذا التفسير بخط ابن عرفة إنما كان من إملاءاته على طلابه في مجلس العلم.

---

(١١) انظر نيل الابتهاج (ص: ٤٦٨).

(١٢) إنباء الغمر بأبناء العمر، (١٩٢/٢).

(١٣) نيل الابتهاج بتطريز الديباج (٤٦٨).

(١٤) معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، (٦١٩/٢)، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، محمد بن رزق بن عبد الناصر بن طرهوني الكعبي السلمي أبو الأرقم المصري المدني (٣٤٢/١). وقد ذكر هذا أغلب من ترجم له.

(١٥) شرح حدود ابن عرفة، (ص٥).

القراءات: له منظومة في قراءة يعقوب بروايتي الداني وابن شريح[١٦].
الفقه: وله: المختصر الفقهي، قيل عنه أنه المؤلَّف الذي جاوز به أقرانه، وأنه لا يفك رموزه ويفهمها إلا المبرز من الفقهاء[١٧]. والمختصر الفرضي، مختصر فرائض الحوفي، نسبة إلى الشيخ أحمد بن محمد بن خلف الحوفي، قام بشرحه نخبة من العلماء منهم الشيخ محمد بن علي السطي، شيخ ابن عرفة، ودرس عليه ابن عرفة المسائل الفرضية فأتقنها واختصرها ودرّسها[١٨].
أصول الفقه وقواعده: الحدود الفقهية، قام بشرحه الرصاع في كتابٍ اسماه: الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، ويسمى اختصاراً: شرح حدود ابن عرفة، قال عنه الرصاع: "تأليفه الفقهي، لم يسبق به في تحقيقه وتهذيبه وجمعه وأبحاثه الرشيقة، وحدوده الدقيقة، وما فيه من معجزات أبحاثه المبتكرة، وفوائده التي هي في كل أوراقه منتشرة"[١٩]. والمختصر الأصولي، المختصر الشامل في أصول الدين: حاذا به كتاب المنتهى لابن الحاجب[٢٠]، وهو كالاختصار لكتاب الإحكام للآمدي، مع تنبيهات ونكت دقيقة[٢١].ونظم في أصول الفقه[٢٢].
العقائد وعلم الكلام: وفيه: المختصر الكلامي، ويشتمل على أبواب ومسائل وأبحاث علم الكلام، فهو يُعنى بقواعد العقائد، واعتمد فيه على كثير من أمهات كتب هذا العلم، بطريقة المتقدمين والمتأخرين، رتبه على منوال طوالع الأنوار للبيضاوي[٢٣].
المنطق: المختصر المنطقي: في علم المنطق، جمع فيه من القواعد والفوائد، مع ما فيه من الإيجاز[٢٤]. ونتيجة السائلين في بيان وجه المنطقيين، ذكره الأبي عند تفسير سورة

(١٦) إنباء الغمر بأبناء العمر، ابن حجر، (١٩٢/٢). وفهرست الرصاع (ص:٨١).
(١٧) انظر: فهرست الرصاع (ص٨١)، ونيل الابتهاج (ص٤٦٤)، نظرية التفقه عند ابن عرفة وأثرها في الاجتهاد، مقتيت عبد القادر (ص١٥٧).
(١٨) انظر: الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، الرصاع (ص٥).
(١٩) المرجع السابق ، (ص٥).
(٢٠) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، ابن الحاجب، جمال الدين أبو عمرو، المالكي، النحوي، الأصولي، صنف في الفقه مختصرا، وفي الأصول مختصرا، وفي النحو مقدمتين، توفي سنة ٦٦٤ه، انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٥٥١/١٤) والوافي بالوفيات للصفدي (٣٢٢/١٩).
(٢١) انظر: المختصر الكلامي، ابن عرفة، (ص٥٠،٥١).
(٢٢) انظر: فهرست الرصاع، (ص٨١).
(٢٣) انظر: المختصر الكلامي (ص٤٩)، والتفسير والمفسرون، (٣٤٣/١).
(٢٤) انظر: المختصر الكلامي (ص٥٣، ٥٤)، فهرست الر صاع، (ص٨١)، نيل الابتهاج (ص٤٦٤)، وانظر: درر المعرفة من تفسير الإمام ابن عرفة، نزار حمادي (٤٢/١).

القدر[٢٥]، وهو مفقود لم يُوقف عليه رغم البحث في فهارس المكتبات وثنايا المخطوطات[٢٦].

الفلك: تقييد في تحقيق القول بالجهة والسمت [٢٧].

النحو: مختصر في النحو [٢٨].

الحديث: إملاءات حديثية [٢٩].

الأخلاق: نتيجة الشكر، ذكر في تفسير الآية ٢٣ من سورة النجم برواية الأبي [٣٠]. والطرق الواضحة في عمل المناصحة [٣١].

المطلب الثاني: التعريف بتفسير الإمام ابن عرفة:

أولًا: أصل التفسير، ورواياته:

لم يكتب هذا التفسير بخط ابن عرفة، وإنما كان من إملائه على طلابه في مجلس العلم، فقد كانت دروسه التفسيرية تتميز بإثارة التساؤلات والمناقشات أثناء الحضور التفسيري، وكانت تسير على ختمات متعددة [٣٢]، ولذا فتفسيره لم يستوعب الآيات وإن استوعب السورة مرتبة بترتيب المصحف، إنما هي أقواله في آيات متفرقة، وإجابات على أسئلة وجهت له.

وقد وصلنا تفسيره بروايتين لأشهر تلاميذه وهما: أبو عبد الله محمد بن خليفة الأبي، وهو من كبار أصحابه، وممن لازمه في جميع دروسه[٣٣]، وأبو العباس أحمد بن محمد البسيلي في كتابه التقييد الكبير، واختصاره التقييد الصغير[٣٤]، ومن رواة التفسير أيضًا: أبو القاسم الشريف الإدريسي السلاوي، إلا أن تقييده للتفسير عن ابن عرفة مفقود.[٣٥]

ثانيًا: طبعاته:

قد طبع تفسير الإمام ابن عرفة في عدة طبعات، منها:

---

(٢٥) تفسير ابن عرفة، (٦٠٥/٥).

(٢٦) ينظر المرجع السابق، (١٣/٤).

(٢٧) انظر: التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا (٣٤٣/١).

(٢٨) انظر: المرجع السابق (٣٤٣/١).

(٢٩) انظر: نيل الابتهاج (٤٦٤).

(٣٠) انظر: تفسير ابن عرفة، (٢٧٢/٥).

(٣١) انظر: فهرست الرصاع، (٨١).

(٣٢) انظر: التفسير ورجاله، محمد الفاضل بن عاشور، الناشر مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٠ه، (ص:٩٦)، وانظر تفسير ابن عرفة (٢٦٧/١، ٢٦٨)، (٢٣٨/٢).

(٣٣) انظر: نزهة الأنظار، (٥٩٦/١)، البدر الطالع، الشوكاني، (٢/ ١٦٩).

(٣٤) انظر: مقدمة تحقيق تفسير ابن عرفة (٢٥/١).

(٣٥) المرجع السابق (٢٩/١).

أولاً: الطبعة الصادرة، عن مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، ١٩٨٦م، وهي رسالة دكتوراه بتحقيق: حسن المناعي، تتضمن تفسير سورتي الفاتحة والبقرة، برواية الأبي، وقام بإيراد الزائد على رواية الأبي في الحاشية فجمع غالب الروايات.

ثانياً: الطبعة الصادرة عن دار ابن حزم، برواية الأبي، والتي قام بتحقيقها مجموعة من الباحثين، على النحو التالي:

- الجزء الأول: يتضمن سورتي الفاتحة والبقرة، الذي حققه: حسن المناعي.
- الجزء الثاني: من سورة آل عمران إلى سورة الأنعام، حققه: جلال الدين علوش.
- الجزء الثالث: من سورة الأعراف إلى الكهف، حققه: د. محمد حوالة.
- الجزآن الرابع والخامس: من سورة مريم إلى آخر سورة الناس، حققه: هشام الزار.

وهذه الطبعة هي المعتمدة في هذه الدراسة.

ثالثاً: الطبعة الصادرة عن دار الكتب العلمية، بتحقيق: جلال الدين الأسيوطي، وقد نبّه معد الكتاب للمكتبة الشاملة، إبراهيم حسانيين، أن هذه النسخة مليئة بالأخطاء ومفتقرة إلى الدقة، وأشار إلى وجوب إعادة تحقيقه[٣٦].

رابعاً: طبعة برواية أبي العباس أحمد بن محمد ابن أحمد البسيلي التونسي، ت:٣٨٠هـ، بعنوان: التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، وأضاف عليها بعض الآيات من كتب التفسير، وشيئاً من إضافته هو، وهي رسالة دكتوراه، بتحقيق: د. عبد الله بن مطلق الطوالة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٢ه، من سورة الفاتحة إلى آل عمران.

خامساً: طبعة برواية البسيلي مما اختصره من تقييده الكبير وزاد عليه، بعنوان: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، وبذيله: تكملة النكت، لابن غازي العثماني المكناسي، ت:٩١٩ه، تحقيق: محمد الطبراني، الناشر: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المملكة المغربية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م. يقع في ثلاثة أجزاء.

أما نسخ الكتاب المخطوطة فقد أشار إليها محقق الجزء الأول، من طبعة دار ابن حزم: الباحث: حسن المناعي، فأحيل عليه[٣٧].

ثالثًا: القيمة العلمية لهذا التفسير:

مما يبرز قيمة تفسير الإمام ابن عرفة، عدة أمور، منها:

إلمامه بعلوم وفنون مختلفة، في التفسير وعلوم اللغة، والفقه، وغيرها، مع تنوع مصادره كما سيأتي في المطلب التالي.

---

(٣٦) نبه على ذلك في تقدمة الكتاب على الشاملة، وقد وقفت على كثير من الأخطاء.

(٣٧) (٢٤/١) وما بعدها.

ومن ذلك أيضاً: ثناء العلماء على هذا التفسير، كما قال الحافظ ابن حجر: "علق عنه بعض أصحابه كلاماً في التفسير كثير الفوائد في مجلدين"[٣٨]، وقول الفاضل ابن عاشور: "وعلى هذه الطريقة، تكوّن من درس ابن عرفة تفسير نفيس: حي المباحث، مستقل الأنظار، متين المباني، غزير الفوائد"[٣٩]، ووصفه البسيلي بأنه: "تقييد جليل في التفسير قيّده عن ابن عرفة فيه فوائد وزوائد ونكت"[٤٠].

ووصفه محمد الطبراني محقق أحد طبعات هذا التفسير، وهو مختصر التقييد للبسيلي الذي سماه: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، بقوله: "علق ثمين من أنفس الآثار الإفريقية للتفسير القرآني العقلي في القرن التاسع، في جودة مبانيه، وانتظام أصوله، ومكانة صاحبه، رسم فيه أبواباً من علم التفسير ونكته وتنبيهاته ودقائقه، تفتح على المنتهي أبواباً من وثيق علم التأويل القرآني، وتجري به في مضمار فرسانه، وتهديه أقوم السبل إلى تجديد النظر في معاني كتاب الله جل وعز... ومعنى هذا أنه لم يخض إلا في المواضع التي استشكلها علماء التفسير؛ ومن ثم كان تفسيرا حي المباحث، مستقل الأنظار، متين المباني غزير الفوائد"[٤١].

كما لقي هذا التفسير وصاحبه اهتماماً من العلماء والباحثين، فمنهم من حقق هذا التفسير، وأعد حوله عدة رسائل ودراسات، في جمع تعقباته واستدراكاته على المفسرين، أو ترجيحاته، أو آرائه المتعلقة بالفقه والأصول، وغير ذلك[٤٢].

المبحث الثاني: منهج ابن عرفة في تفسيره:

المطلب الأول: التقدمة للكتاب والمنهج العام في التفسير:

قدّم الإمام ابن عرفة لتفسيره بمقدمة قصيرة في الكلام على علم التفسير، حقيقته: وهو العلم بمدلول القرآن وخاصية كيفية دلالته، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وموضوعه: وهو القرآن، ودليله: وهي اللغة العربية والبيان، وفائدته واستمداده: وهي استنباط الأحكام من أصول الدين، وأصول الفقه، والعربية، وحكمه: وهو فرض كفاية، وعليه قسم الناس تجاه التفسير إلى ثلاثة: منهم المفسر المجتهد، مثل له بالشيخ محمد بن عبد السلام، ومنهم المفسر غير المجتهد، كسيبويه، والفارسي،

---

(٣٨) إنباء الغمر، بأبناء العمر، (١٩٢/٢).
(٣٩) التفسير ورجاله (ص:٩٧).
(٤٠) نيل الابتهاج بتطريز الديباج (١١٥).
(٤١) مقدمة التحقيق (١٠/١، ١١).
(٤٢)، انظر: الدراسات السابقة، حاشية١، ص:٤١، من رسالة الماجستير: توجيه المتشابه اللفظي عند ابن عرفة.

والزجاج[٤٣]، والزمخشري، ومنهم المجتهد غير المفسر وهو الذي لا يحفظ القرآن كله، بل يحفظ شيئاً منه فيستدل بها، ومن هنا خلص إلى اشتراط حفظ القرآن كله للمفسر؛ وعلّل ذلك بأن المفسر إذا استحضر آية لا يحل له تفسيرها لاحتمال أن تكون هناك آية أخرى ناسخة لها أو مقيدة أو مخصصة أو مبينة، لذلك كان لزاماً على المفسر حفظ القرآن كاملاً.[٤٤]

وهذا التفسير لم يستوعب الآيات وإن استوعب السور مرتبة على ترتيب المصحف، وكما وضّح سابقاً فإن ابن عرفة لم يكتب هذا التفسير بنفسه إنما هي أقوال له في آيات متفرقة، وإجابات عن أسئلة وجهت له، جمعها أشهر تلامذته، الأبي والبسيلي والسلاوي، وترد في التفسير عبارات دالة على ذلك، مثل: (قيل لابن عرفة) (سئل ابن عرفة)، ومع ذلك فإنه استخدم أسلوب الإحالة على السابق، في بعض المواضع، ومثال ذلك قوله تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [سورة النحل:١١٥] قال: "انظر ما تقدم في سورة العقود والأنعام"[٤٥].

وقد أشاد محمد الفاضل بن عاشور بمنهج الإمام ابن عرفة في تفسيره، وأثنى عليه، ووصفه بدقة عالية فقال: "كان ابن عرفة يسلك مسلك الجمع والتحليل والإملاء، فتُتلى الآية أو الآيات بين يديه، ثم يأخذ معناها بتحليل التركيب وإيراد كلام أئمة اللغة أو النحو على معاني المفردات ومفاد التراكيب، منشداً على ذلك الشواهد، ومورداً الأمثال والأحاديث، ويهتم بالتخريج والتأويل حتى تتضح دلالة الآية مستقيمة على المعنى الذي يتعلق به، ويرد ما عسى أن يكون قد وقع من تخريج بعيد أو تأويل غير مقبول، بتطبيق القواعد اللغوية والنكت البلاغية، أو بإثارة ما يتعلق بالمفاد من مباحث أصولية؛ عمدته في هذه المباحث تفسير ابن عطية غير معرض عن تفسير الكشاف"، إلى أن قال: "يكثر إيراد الآراء والمذاهب عن العلماء؛ من أئمة المذاهب أو المتكلمين أو رجال الأصول لاسيما أصحابه الأدنون في طريقته النظرية؛ وكان يفتح المجال في إلقائه للبحث والسؤال، وكثيراً ما يعتبر سؤال واحد من طلبته مثارًا لبيان عنصر من عناصر الموضوع ما كان ملتفتاً إلى إثارته قبل ذلك السؤال، وهو شديد الاهتمام بأن ينتزع من الآيات ما هو من سياقها أو ليس منه بما يرجع إلى الأحكام التكليفية من مسائل الأصول، الفقه وإيراد ما يتعلق بذلك من الأنظار ومناقشتها"[٤٦].

---

(٤٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزَّجَّاج، كان نديمًا للمكتفي، من كتبه: معاني القرآن وشرح إعرابه، والاشتقاق، ت: ٣١٦ه، انظر: طبقات النحويين واللغويين للزبيدي (ص:١١٢)، وتاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم. للتنوخي (ص: ٣٩).

(٤٤) انظر: مقدمة تفسير ابن عرفة بتصرف. (٥٥/١-٦٠).

(٤٥) تفسير ابن عرفة، (٦٥٧/٣).

(٤٦) التفسير ورجاله، (ص:٩٧).

وقد امتاز أسلوب ابن عرفة بالنقد والتحقيق، وذكر الإيرادات على أقوال المفسرين، والجواب عنها، ومناقشتها، ومن أمثلة ذلك عند قوله تعالى: {إنا أنزلناه} [سورة القدر:١] ، قال ابن عرفة: "قال ابن رشد في المقدمات[٤٧]: الهاء تعود على القرآن وإن كان لم يتقدم له ذكر، فقد تقدم ذكره في سورة الدخان: {حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ} [سورة الدخان: ١،٢،٣]، وليلة القدر هي الليلة المباركة. ورده ابن عرفة: أن الضمير لا يضمر في سورة ويظهر في سورة أخرى. وأجيب بأن القرآن كالسورة الواحدة، ورده ابن عرفة: بأن هذا في الأحكام اللغوية التركيبية وكلامنا الآن في تفسير اللفظ على ماذا يحمل حسبما ذكر، ومثّله ابن الحاجب في منتهى السؤل[٤٨] في خبرين: أحدهما: مطلق، والآخر: مقيد، فالمطلق يرد إلى المقيد إن كان في سورتين في القرآن؛ لأنه كالسورة الواحدة، وأجاب عنه ابن الحاجب بأن كلامنا هذا في نفس اللفظ علام يحمل. قال ابن عطية: "وقيل معناه: إذا أنزلنا هذه السورة في شأن ليلة القدر، وفي فضلها ولما كانت السورة من القرآن جاء الضمير للقرآن تفخيماً وتحسيناً"[٤٩]. ورده ابن عرفة: بأن هذا مجاز، والمجاز إنما يتعين حيث يمتنع حقيقته العرفية وهي هنا غير ممتنعة لصحة كون إنزال القرآن في ليلة القدر نفسها"[٥٠].

المطلب الثاني: التفسير بالمأثور عند ابن عرفة:

تقدم أن ابن عرفة لم يصنف هذا التفسير، وإنما هو مجموع من تقييدات تلامذته من إملائه في الدرس، ولذا لم يستوعب جميع الآيات، فأكثر ما فيه فوائد ومناقشات، وإجابة عن السؤالات والاستشكالات، ونحو ذلك، ومع هذا فلم يخل هذا التفسير من بعض مظاهر التفسير بالمأثور، ومن ذلك:

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن، وله عدة أوجه، منها:

- **جمع الآيات الواردة في موضوع واحد**، ليتضح المعنى المتكامل: فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [سورة آل عمران: ١٤٥]، قال ابن عرفة: "قال تعالى في سورة هود: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ [سورة هود: ١٥-١٦] وقال تعالى في الإسراء: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝١٨﴾ [سورة الإسراء: ١٨]، وقال تعالى في سورة الشورى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ۝٢٠﴾ [سورة الشورى: ٢٠]، وقال ابن عطية:

---

(٤٧) المقدمات الممهدات (٢٦٣/١).

(٤٨) انظر: منتهى الوصول والأمل، في علمي الأصول والجدل، جمال الدين أبو عمرو عثمان بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب، ت٥٧١ه، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ه-١٩٨٥م.ص١٣٥.

(٤٩) المحرر الوجيز (٥٠٤/٥).

(٥٠) تفسير ابن عرفة، (٦٠١/٥،٦٠٢،٦٠٣).

هذه الآية مقيدة بآية الإسراء؛ لأن ذلك مشروط بالمشيئة إذ ليس كل من أراد الدنيا نالها بل كثير من النَّاس أرادها، ولم ينلها، لقوله: ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ بنون العظمة، ولم يقل ما يشاء بياء الغيبة، فقال ابن عرفة: هذا لا يحتاج إليه إذا جعلنا (من) للتبعيض، ويمكن أن يجعلها للسبب"(٥١).

- **حمل المطلق على المقيد،** كما في المثال السابق أيضاً.
- **تخصيص العام،** ففي قوله تعالى: { وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم} [سورة البقرة: ٥٤]، قال: "الظلم هنا المراد به الكفر؛ لتقيّده باتخاذ العجل، قال الله تعالى: { وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم} [سورة لقمان: ١٣]، وقال جلّ ذكره: { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون} [سورة الأنعام: ٨٢]، هو مطلق فلذلك أشكل على الصحابة رضوان الله عليهم، وقالوا: أيُّنَا لم يلبس إيمانه بظلم؟"(٥٢).
- **الجمع بين الآيات التي ظاهرها التعارض**: ففي قوله تعالى: { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ ۗ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [سورة التغابن: ١٦]، قال البسيلي: "عارضها ابن عطية بقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [سورة آل عمران: ١٠٢]، وظاهرها عموم التقوى في المستطيع وغيره، فمنهم من قال: هذه ناسخة لتلك، ومنهم من لم يجعلها ناسخة؛ لأن النسخ إنما هو حيث التعارض ولا تعارض إلا لو كانت تلك أمراً، وهذه نهياً عن شيء واحد، أو تلك إثباتاً وهذه نفياً لشيء واحد، وأما هنا فلا تعارض بين اللفظين، وإنما التعارض بين مفهوم هذه الآية ونص تلك؛ لأن مفهوم هذه أن غير المستطاع من التقوى غير مأمور به، فيرجع إلى نسخ النص المتواتر بالمفهوم، وفيه خلاف بين الأصوليين"(٥٣).
- **حمل بعض القراءات على بعض وتفسير بعضها ببعض**: فعند تفسير قوله تعالى: { **بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**} [سورة البقرة: ٣٦] قال ابن عرفة: "أي: فسكنا، وأكلا حيث شَاءَا، فأَزَلَّهُمَا، فسَّرُوهُ بأمرين إما (أوقعهما) في الزلَّة والإثم فالضمير في (عنها) للجنة، أو للشجرة فهو معنوي، وإما حسي من الزوال فالضمير في (عنها)

(٥١) المرجع السابق، (٢/٢٧١، ٢٧٢).
(٥٢) المرجع السابق، (١/٢٧٤).
(٥٣) تفسير ابن عرفة، (٥/٤٦٧).

للجنّة. وقرأ حمزة: (فَأَزَالَهُما)، وهو نص في الزوال الحسي فتكون مرجّحة لإرادته في القراءة الأولى"[٥٤].

ثانياً: تفسير القرآن بالسنة، وله عدة أوجه، منها:

- **تأكيد المعنى وتقويته:** فعند تفسير قوله تعالى: { **وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون**} [سورة الزخرف: ٧٢]، قال ابن عرفة: "سمّاه ميراثاً إشارة إلى الجمع بين هذه الآية، وبين قوله ﷺ: «لَن يَدْخُلَ الجَنَّةَ أَحَدٌ بَعَمَلِهِ»[٥٥]، فدل ذلك على أن دخول الجنة من غير عوض؛ فأشبه الميراث الذي هو عن غير عوض"[٥٦].
- الاستشهاد بالسنة لتوضيح المعاني اللغوية، فعند قوله تعالى: { ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب} [سورة ص:٣٤] قال: "وقال في سورة يونس لفرعون: {ي ذ ذ} [سورة يونس:٩٢]، ولم يقل: بجسدك، ففرق بعضهم بأن البدن يطلق على ما كثرت أجزاؤه، ولذلك يقال: فلان بدّن، وفي الحديث أن عائشة ا قالت: «لَمَّا بَدَّنَ رَسُولُ الله ﷺ»[٥٧]، أي فلما طعن في السن، وفرعون كان قد بلغ الغاية في السِّمن، وأما الجسد فيصدق على الصّغير النّاقص الأجزاء، ولذلك قال: لم تحمل من نسائه إلا واحدة ولدت شق ولد"[٥٨].
- **توضيح المشكل**: في قوله تعالى: { ثلة من الأولين} [سورة الواقعة: ٣٩-٤٠]، قال البسيلي: "في الجمع بينها على هذا، وبين قوله تعالى: { ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ} [سورة الواقعة: ١٣-١٤] إشكال، لقوله □: «إِنِّي لَأَرْجُو أَن تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ أَو ثُلُثَي»(٥٩). فثبت أن الجماعة من أمته □ أكثر أهل الجنة، فكيف قال: { ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ } [سورة الواقعة: ١٤]؟ أجيب: باحتمال أن يريد أهل الجنة بالنوع لا بالشخص، أي منكم الثلثان، ومن كل أمة الثلث فأنتم أكثر من كل

---

(٥٤) المرجع السابق (٢٤٦/١).

(٥٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب نهي تمني المريض الموت، رقم: (٥٦٧٣)، بنحوه، ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى، رقم: (٢٨١٦)، بمعناه.

(٥٦) تفسير ابن عرفة (١١٥/٥).

(٥٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جواز النافلة قائما وقاعدا، برقم: (٧٣٢)، بهذا اللفظ.

(٥٨) تفسير ابن عرفة (٨٥٩/٤).

(٥٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، برقم: (٦٥٢٨)، بهذا اللفظ مطولاً، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون هذه الْأمة نصف أهل الجنة، برقم: (٢٢١)، بنحوه مطولاً.

أمة على حدتها، قيل: بل ظاهره أنهم أكثر من مجموع الأمم. أجيب: بأن الثلة مقولة بالتشكيك تطلق على الجماعة الكثيرة والقليلة، ولا تنافي بين الاثنين"[٦٠].

- **بيان عدم التعارض بين القرآن والسنة**: فعند قوله تعالى: { **إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا** } [سورة نوح: ٢٧]، انفرد البسيلي بتفسيرها فقال: "إن قلت: ما الجمع بينه وبين حديث: «كُلّ مَولُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ»[٦١]؟ فالجواب: أنه يولد على الفطرة ثم يصير في ثاني حال فاجراً كافراً"[٦٢].

وعند تفسير قوله تعالى: { ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون } [سورة آل عمران: ١٤٣]، قال ابن عرفة: "هذا يعارض قوله ﷺ: «لَا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُو واسْأَلُوا اللهَ العَافِيَةَ»[٦٣]، فالجواب: أن ذلك كان في أول الإسلام حيث كان الكفر كثيراً، والإسلام قليلاً، فنهوا عن تمني لقاء العدو، وهنا حض على تمني الشهادة والهجوم على القتال، أو تكون هذه نزلت أولاً، ثم قال بعد ذلك: «لَا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُو»، وجرت الآية مجرى العتاب لهم؛ لأن عتاب من تمنى لقاء العدو ثم قعد وكسع عن قتاله حين اللقاء أشد من عتاب من لم يتشوف للقاء العدو، ولا خطر له ببال"[٦٤].

وعند تفسير قوله تعالى: { يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون } [سورة التوبة: ٣٥]، قال: "انظر هذه الآية مع ما في الحديث من أن «النار لا ينال محل السجود»[٦٥]، ويجاب بأن لَا تعارض بين العام والخاص"[٦٦].

ومما يلاحظ عنده في التفسير بالسنة: نقل أحكام العلماء على الأحاديث، خاصة التنبيه على الموضوع منها: فعند تفسير قوله تعالى: { فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير

---

(٦٠) تفسير ابن عرفة، (٣٦٠/٥).

(٦١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم (١٣٨٥) بهذا اللفظ مطولاً، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم (٢٦٥٨) بنحوه مطولاً.

(٦٢) تفسير ابن عرفة، (٥٣١/٥).

(٦٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي إذا لم يقاتل أول النهار أخر، برقم: (٢٩٦٥) بنحوه مطولاً، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند لقاء العدو، برقم: (١٧٤٢) بهذا اللفظ.

(٦٤) تفسير ابن عرفة، (٢٦٩/٢).

(٦٥) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وقد أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما مطولاً بلفظ: «حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَن تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ»، صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب فضل السجود، برقم: (٨٠٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، برقم: (١٨٢).

(٦٦) تفسير ابن عرفة، (٢٦٤).

وشهيق } [سورة هود: ١٠٦]، قال الزمخشري: "وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روي لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص: «ليأتين على جهنم يوم يصفق فيه أبوابها ليس فيه أحد»(٦٧)"(٦٨). قال ابن عرفة: "عن الجوهري(٦٩): النوابت هم من الأَحْداثِ: الأَغْمارُ من الذين يغزون ويُغزون، قال: والحديث محمول عند أهل السنة على الطبقة العليا من جهنم؛ وهي طبقة عصاة المسلمين، ونقل الطيبي، عن ابن الجوزي: أن هذا الحديث موضوع"(٧٠).

وكذلك لما نقل عن الزمخشري حديثًا في فضل سورة هود، تعقبه بقوله: "وقال ابن الجوزي(٧١) في الموضوعات: إن هذه الأحاديث التي في فضائل السور موضوعة، والصحيح منها ما نقل في البخاري ومسلم، وما صح عند غيرهما، وكذا قال ابن الصلاح في علوم الحديث"(٧٢).

ثالثاً: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين:

فمن ذلك أنه يعرض أقوالهم والترجيح بينها، فعند قوله تعالى: { لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ } [سورة البقرة: ١٧٧] ، قال ابن عرفة: "قال ابن عطية عن ابن عباس(٧٣)، ومجاهد رضي الله عنهم: الخطاب للمؤمنين أي ليس البر الصلاة وحدها، وعن قتادة والربيع: الخطاب لليهود والنصارى، قال ابن عرفة: هو الظاهر لقوله: { قِبَلَ الْمَشْرِقِ }، والمراد بالمشرق: حقيقته؛ لأنّ النّصارى يستقبلون

---

(٦٧) الحديث أخرجه البزار في مسنده، رقم (٢٤٧٨)، بنحوه.

(٦٨) الكشاف، (٤٣٠/٢).

(٦٩) هو أبو نصر إسماعيل بن حماد التركي، الجوهري، كان من فاراب أحد بلاد الترك، وكان يضرب به المثل في حفظ اللغة، وحسن الكتابة، صاحب كتاب الصحاح في اللغة، أحد أئمة اللغة وكان يؤثر الغربة على الوطن، مات الجوهري متردیا من سطح داره بنيسابور، سنة ٣٩٣ه، وقيل: في حدود الأربعمائة. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٧٢٤/٨)، وقلادة النحر في وفيات أعيان الدهر لبامخرمة (٢٧٩/٣).

(٧٠) تفسير ابن عرفة، (٣٩٢/٣). وما نقله عن الجوهري ففي كتابه الصحاح (٢٦٨/١)، وما نقله عن الطيبي أي في حاشيته على الكشاف فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (٢٠٤/٨).

(٧١) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي، الحافظ العلامة جمال الدين، ابن الجوزي، القرشي، البغدادي، الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم، منها: المغني في علم القرآن، وزاد المسير في علم التفسير، وتذكرة الأريب في شرح الغريب، ت:٥٩٧ه. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٥٤٨/٢) والوافي بالوفيات (١٠٩/٨).

(٧٢) تفسير ابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي، (٣٧١/٢).

(٧٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ﷺ، (ص:٢٤).

مشرق الشمس، والمراد بالمغرب الأفق؛ لأن اليهود إنما يستقبلون بيت المقدس وهو في جهة المغرب"[٧٤].

رابعاً: نقد الأخبار والروايات الإسرائيلية:

يلاحظ في تفسيره عدم الاهتمام بها، ولعل ذلك يعود إلى طبيعة هذا التفسير فهو كما سبق تقييد لمجالس أملاها على تلامذته، لكنه حيث يذكرها ينقدها ويرد ما لا يصلح منها، فعند تفسير قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} [سورة البقرة: ٢٩] قيل لابن عرفة: "أو يجاب بعكس ما قال الزمخشري، وهو أنه خُلِقت السماوات والأرض ملتصقة، ثم خلقت الأرض ودحيت، ثم فصلت السماوات وصيرت سبعا والله أعلم"؟ فقال: "هذا يمكن لكن الأثر الذي أورده هنا أنّ الأرض خلقت كالفهر[٧٥] وعلاها الدخان فخلقت منه السماوات يرده ما ذكره الشيخ الزمخشري ونقله عن الحسن وللفخر في الأربعين في ذلك كلام طويل، وليس فيه خبر صحيح"[٧٦].

وعند تفسير قوله تعالى: { وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ } [سورة البقرة: ١٠٢]، قال ابن عرفة: "قال ابن عطية: روي أنهما ملكان اختصمت إليهما امرأة، وحكى القصة، وضعفه ابن عطية من جهة السند. قال ابن عرفة: بل هو ضعيف من جهة الاستدلال، فإنه قد قام الدّليل على عصمة الملائكة. ولا يقال: إنهما كانا معصومين، ثم انتفت العصمة عنهما حينئذ، فإنّ ذلك إنما هو فيمن يتّصف بالحفظ لا بالعصمة، فيصح أن يحفظ تارة دون تارة، أما العصمة فلا تزول عمن ثبتت له أبداً. وقد كان الشيوخ يخطئون ابن عطية في هذا الموضوع لأجل ذكره هذه الحكاية. ونقل بعضهم عن القرافي أن مالكاً أنكر ذلك في حق هاروت وماروت"(٧٧).

وكذلك عند تفسير قوله تعالى: { وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ } [سورة ص: ٣٤] قال ابن عرفة: "الفتنة الاختبار، قال تعالى: { ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين } [سورة الحج: ١١] فاقتضت أن الأنبياء والأولياء يفتنون فيفتنون على دينهم، وكذلك سليمان عليه السلام وما يزيدهم ذلك إلا إيمانا وتسليما كما في سورة الأحزاب؛ وفي آخر سورة براءة، وما حكاه ابن عطية والزمخشري من

---

(٧٤) تفسير ابن عرفة، (٤٧٨/١).

(٧٥) الفهر الحجر قد يكسر به الجوز وما اشبهه ويسحق به المسك وما شاكله. الصلاية الحجر العريض يسحق عليه الطيب. فقه اللغة وسر العربية (ص: ٢٠٢).

(٧٦) تفسير ابن عرفة، (٢٢٢،٢٢١/١). ويقصد بالأربعين: الأربعون في أصول الدين للرازي.

(٧٧) المرجع السابق، (٣٦٥/١).

قصة سليمان في قضيّة الحظيّة[٧٨] المرأة التي طلبت أن يحكم لأخيها على خصمه فمن كلام القصاص لَا يليق ذكره هنا؛ والأنبياء معصومون منه، والأنسب في هذه أن تكون فتنة لقوله: «لأطوفنّ الليلة على مائة امرأة، فنأتي كل واحدة، فتأتي كل امرأة بولد ولم يقل إن شاء الله»[٧٩]"[٨٠].

المطلب الثالث: ايراد الجوانب اللغوية والبلاغية في التفسير عند ابن عرفة

أولا: رجوعه إلى اللغة واحتكامه إليها، ويظهر في أمور، منها:

- **الاستشهاد بالشعر وبلغة العرب**: فعند تفسير قوله تعالى: { وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ } [سورة الشعراء: ٢٢]، قال الجوهري في الصحاح: التعبد الاستعباد، وهو أن يتخذه عبداً، وكذلك الاعتباد. قال ابن عرفة: "وكذلك التعبد، قال الشاعر:

تَعَبَّدني نِمْرُ بنُ سَعْدٍ وقد أَرى ... وِنِمْرُ بنُ سعدٍ لي مُطيعٌ ومُهْطِعُ

أي: اتخذني عبدا، وكان النَّاس يرونه عبدا مطيعا لأمري"[٨١].

وعند تفسير قوله تعالى: { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً } [سورة البقرة: ٢٤٥] قال ابن عرفة: "(قرضا) إن كان مصدراً فهو مجاز، كما قال الإمام المازري في {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا [سورة الأحزاب: ٣٣]، إنّ التأكيد يصير التطهير المعنوي حسياً وهو من ترشيح المجاز كقولك قول هند زوجة ابن زنباع:

---

(٧٨) الحظية ـــ بالظاء ـــ : المرأة التي لها حظوة ومكانة عند زوجها. الفرق بين الحروف الخمسة (ص: ٢٦)

(٧٩) الحديث في الصحيحين بنحو هذا اللفظ، فقد رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ: «قال سليمان: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهن جميعا فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، وأيم الذي نفس محمد بيده، لو قال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون». أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى { وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ } [سورة ص:٣٠]، برقم: (٣٤٢٤)، ومسلم صحيحه، كتاب الأيمان، باب الاستثناء، برقم: (١٦٥٤).

(٨٠) تفسير ابن عرفة، (٤/٨٥٩).

(٨١) المرجع السابق، (٤/٤٢٠). والبيت من الطويل، وورد البيت منسوباً إلى تُبَّع في الإتقان في علوم القرآن (٢/ ١٠١)، وفي الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٧/ ٦٧٤). وانظر: معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: ٣٥٠هـ)،تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة١٤٢٤ هـ.

بكى الخز من عوف وأنكر جلده وعج عجيجا من جذام المطارق[٨٢]"

- **ذكر أقوال علماء أهل اللغة**: فعند قوله تعالى:{ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ } [سورة الصافات: ١٤٠]، قال ابن عرفة: "قال الفقيه أبو عبد الله محمد بن ترار يوم جمعة في الكتبيين: أبِق بكسر الباء، فأنكرتها عليه وأنا صغير؛ فاحتشم مني، ثم أتاني في الجمعة الأخرى بصحاح الجوهري[٨٣] ضبطها بالفتح والكسر والفتح أشهره، وقال الثعالبي: "من فقه اللغة إنما يقال: أبق إلى كذا، ولا يقال: أبق بالإطلاق، وإنما يقال: مقيدا"[٨٤].
- **توجيه القراءات:** فعند تفسير قوله تعالى { فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم } [سورة البقرة: ٣٧]، قرأ ابن كثير قرأ (آدمَ) بالنّصب و(كلماتٌ) بالرفع؛ قال ابن عرفة: "قراءة الجماعة بالرّفع ظاهرة لأنه هو فاعل التلقي فتكليفه التلقي والقصد إليه، وإمعان النظر فيه ظاهر، وأمّا قراءة ابن كثير فتقتضي أن آدم عليه السلام أتاه التلقي هجماً من غير نظر، فيمكن فهمه على أنه أتته أَوَائِل درجات النظر بالبديهة؛ لأن المعقولات فرع المحسوسات، فأول درجات النظر مدرك معلوم بالبديهة، لا يفتقر إلى تقدم شيء قبله لئلا يلزم عليه التسلسل"[٨٥].
- **ذكر المعاني المحتملة للألفاظ، على مقتضى المعنى اللغوي المشهور:** فعند قوله تعالى: { والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون } [سورة الأعراف: ٨]، قال: "و(الوزن) يحتمل معنيين أحدهما: أن الوزن يومئذ يقع بالعدل والقسط، الثاني: أن وزن أعمال العباد يومئذ ثابت وأنه لَا شك"[٨٦]. وما فسره ابن عرفة هنا بخلاف ما قال به مجاهد، فقد قال مجاهد: "الوزن في هذا الموضع: القضاء"[٨٧]، إلا أن ما فسّر به ابن عرفة هو الصحيح؛ ومجاهد انفرد بهذا التفسير،

(٨٢) تفسير ابن عرفة، (٦٥٢/١). والبيت في بلاغات النساء، لابن طيفور، وسببه: "قال أبو زيد عمر بن شبة كانت حميدة بنت النعمان بن بشير بن سعد تحت روح بن زنباع، فنظر إليها يوماً تنظر إلى قومه جذام وقد اجتمعوا عنده فلامها، فقالت وهل أرى إلا جذامًا، فو الله ما أحب الحلال منهم فكيف بالحرام، وقالت تهجوه: بكى الخز..."، (ص:٩٥).
(٨٣) تاج اللغة، الجوهري، فصل الألف، (١٤٤٥/٤).
(٨٤) تفسير ابن عرفة، (٨٣٨/٤).
(٨٥) المرجع السابق، (٢٥٠/١)،
(٨٦) المرجع السابق، (٦١/٣،٦٢،٦٣).
(٨٧) جامع البيان (٦٧/١٠).

وقد رده ابن جرير الطبري؛ لأن مجاهداً رضي الله عنه صرف اللفظ عن معناه القريب وأوله تأويلًا بعيدًا عن المعنى الظاهر المتبادر من اللفظ(٨٨).

ثانياً: اهتمام ابن عرفة بفنون البلاغة والمناسبات:

من الفنون البلاغية التي اهتم بها:

o **أسلوب اللف والنشر**(٨٩)، ومن أمثلة ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا } [سورة البقرة: ٢٦] حيث قال ابن عرفة: هذا لف ونشر؛ لأنه لما تقدم ذكر المثل وذكر بعده الفريقين عقبه ببيان أنَّه يضل به قوما، ويهدي به آخرين. واللَّف والنشر قسمان: موافق كقوله تعالى: { يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ } [سورة هود: ١٠٥-١٠٦] ومخالف كقوله تعالى: { يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون } [سورة آل عمران: ١٠٦] قال: وحكمة ذلك في الجمع الاهتمام بمقام التخويف والإنذار، فلذلك بدأ بأهل الشقاوة في الآيتين(٩٠).

o **دلالات حروف المعاني:** فعند تفسير قوله تعالى: { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون } [سورة البقرة: ١٨٦]، قال: "نقلوا عن ابن الخطيب(٩١) أن الجواب هنا: وقع بالفاء فقط إشارة إلى أنه قريب مطلقاً، وقربه من العبد مع الدعاء لا يعقبه، وقيل: أمر محمد ﷺ بأن يقول لهم ذلك، وبـ(قل) وحدها في: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } [سورة الإسراء: ٨٥]، (وبهما) معا في { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا } [سورة طه: ١٠٥] الآية، ونسفها إعدامها، إشارة إلى الأمر بالمبادرة بالجواب عقب السؤال ردا على من قال بقدمها؛ لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه"(٩٢).

o **الاهتمام بالمناسبات:** وقد بيّن موقف المفسرين منها بقوله: "من الناس من ينظر وجه المناسبة بين الآية وما قبلها كابن الخطيب، ومنهم من لا يلتزمه في كل آية

---

(٨٨) المرجع السابق، (٦٧/١٠) إلى (ص:٧١). وانظر: تفسير التابعين، محمد بن عبد الله الخضيري، (ص:٩٨).

(٨٩) اللف والنشر: هو أن تلف شيئين ثم تأتي بتفسيرهما جملة؛ ثقة بأن السامع يرد إلى كل واحد منهما ما له، كقوله تعالى: {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ}. التعريفات (ص: ١٩٣).

(٩٠) تفسير ابن عرفة، (٢٠٢/١).

(٩١) أي الرازي في مفاتح الغيب (٢٦٠/٥، ٢٦١، ٢٦٢).

(٩٢) تفسير ابن عرفة، (٥١١/١).

كالزمخشري وابن عطية، ومنهم من يمنع النظر في ذلك ويحرمه لئلا يعتقد أنّ المناسبة من إعجاز القرآن فإذا لم تظهر المناسبة فقد يدرك الناظر وهن في دينه وخلل في معتقده"[٩٣].

وقد تناول ابن عرفة المناسبات من عدة وجوه في تفسيره، ومنها:

- **المناسبة بين الآية وما قبلها:** فعند تفسير قوله تعالى: { إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون } [سورة البقرة: ١٥٩]، قال ابن عرفة: "ووجه المناسبة هنا: أنه لما تقدم الإخبار بحكم شرعي عقبه ببيان عقوبة العالم إذا كتم علمه"[٩٤].
- **المناسبات بين القصص القرآني:** فعند تفسير قوله تعالى: { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [سورة البقرة: ٦٣]، قال الأبي: "قدر الفخر ابن الخطيب وجه مناسبتها لما قبلها بأنها نعمة(٩٥)، قال ابن عرفة: الصواب أنها وعظ، لأن قبلها: { إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم } [سورة البقرة: ٦٢]، وهو وعظ ونعمة لجميع الملل، ولما كانت بنو إسرائيل أقرب الناس إلى الإيمان والاتباع لوجهين: إما لأن ملّتهم أقدم من ملة النّصارى، وإما لأنهم كانوا أكثر أهل المدينة، فإيمانهم سبب في إيمان غيرهم وتعنتهم وفرارهم سبب في امتناع غيرهم أكّد ذلك بإعادة الوعظ لهم بخصوصيتهم في هذه الآية، ولذلك كررت قصّتهم في القرآن في غير ما سورة أكثر مما تكرر غيرها من القصص"(٩٦).
- **المناسبة بين وسط الآية وختامها مع صدرها:** فعند تفسير قوله تعالى: { إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد } [سورة البقرة: ١٧٣] قال: "وجه مناسبة المغفرة أنه قد يظن أنه مضطر فيأكل الميتة ولا يكون مضطراً إليها"(٩٧).
- **المناسبة بين الآية واختتامها بالأسماء الحسنى:** فعند تفسير قوله تعالى: { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [سورة البقرة: ٢٤٤]، قال: "وجه مناسبة الصفتين أن من قعد ولم يخرج للقتال لابد أن يتكلم في المؤمنين، ويتحدث في أمرهم فالله سميع له، عليم بقتال من قاتل، ففيه وعد ووعيد"(٩٨).

---

(٩٣) المرجع السابق (١٩٠/١).
(٩٤) المرجع السابق، (٤٤٢/١)، وانظر أيضاً: (٢٢٢/١) (٣٩٣/٣).
(٩٥) مفاتح الغيب (٥٣٧/٣).
(٩٦) تفسير ابن عرفة، (٢٩٥/١).
(٩٧) المرجع السابق، (٤٧٤/١).
(٩٨)المرجع السابق ، (٦٥١/١).

وعند تفسير قوله تعالى: { إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [سورة المائدة: ١١٨] ناقش ابن عرفة قول حازم القرطاجني[٩٩] ما يدّعيه أن قوله: { وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ } لَا يناسب { فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } فقال: "والحق أنه مناسب مناسبة لطيفة تخفى على الأكثر، ولذلك قال علماء البيان في هذه الآية الكريمة أنها من خفي تشابه الأطراف. فإن قلت: ما حقيقة تشابه الأطراف؟ قلت: هو أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى. فإن قلت: كيف ختم الكلام في هذه الآية الكريمة بما يناسب أوله في المعنى؟ قلت: قال القزويني[١٠٠] في إيضاحه: إن العزيز هو الغالب من قولهم: من عزَّ بزَّ، أي: من غلب سلب. والغالب على الحقيقة هو ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه، والحكيم هو الذي يضع الأشياء في محلها والله تعالى كذلك إلا أنه قد يخفي وجه الحكمة في بعض أفعاله فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة، وإذا فهمت معنى هذين الصفتين علمت أن الواجب ما عليه التلاوة، والمتصف بهذين الوصفين هو الذي يغفر لمن يستحق العذاب على الحقيقة فصار الوصفان المذكوران يدلان على معنى لم يدل عليه الغفور الرحيم، فكأنك تقول: (وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم). بأحد وجهين: إما بأن جواب الشرط الثاني محذوف لفهم المعنى، أي: وإنك إن تغفر لهم فإنك الغفور الرحيم، وإن قلنا: بأن الشرطين في معنى شرط واحد مركب من جزأين وجوابهما بينهما مقدم في اللفظ مؤخر في المعنى، أي: إن تعذبهم أو تغفر لهم فإنهم عبادك، وأورد عليه أن الشرط لا يحذف جوابه إلا إذا كان فعل الشرط ماضيا وأما المستقبل، فلا؛ لأنه يؤدي إلى تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه فيبطل الجواب الأول ويبقى الثاني"[١٠١].

- **ذكر المناسبة بين اللفظ والمعنى:** فعند تفسير قوله تعالى: { وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ} [سورة البقرة: ٤٩]، قال ابن عرفة: "فإن قلت: لم قال هنا:

---

(٩٩) هو: أبو الحسن حازم بن محمد بن حسين بن حازم النّحوي الأنصاري القرطاجنيّ صاحب القصيدة الميمية في النّحو، المشهورة، كان إماما، بليغا، ريّان من الأدب، نزل تونس، وامتدح بها المنصور صاحب إفريقية أبا عبد الله محمد بن الأمير أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، ت:٦٨٤ه. انظر: شذرات الذهب، (٦٧٦/٧).

(١٠٠) هو: جلال الدين: محمد بن عبد الرحمن القزويني، المعروف بخطيب دمشق. فقيه، أصولي، محدث، أديب، عالم بالعربية والمعاني والبيان، شاعر، من القضاة، والخطباء. ولد بالموصل، وسكن بلاد الروم، وقدم دمشق وناب في القضاء، وولي الخطابة بها، وانتقل الى الديار المصرية، وتوفي بدمشق سنة ٧٣٩ه، من تصانيفه: تلخيص مفتاح العلوم للسكاكي، وله كتاب الإيضاح في المعاني والبيان، انظر: كشف الظنون، (٢١٠/١)، البدر الطالع (١٨٣/٢).

(١٠١) تفسير ابن عرفة، (٦١٩/٢، ٦٢٠). وانظر أيضاً: (٧٥٤/٤)، (١٥٥/٢).

(نَجَّيْنَا) وفي الأعراف (أَنجَيْنَا) فالجواب: بأن القصد هنا كثرة تعداد وجوه الإنعام فيه فبدأ بـ: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [سورة البقرة: ٢١] إلى آخرها وكلها إنعام، ثم قال: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) فلما كان موضع تعداد النعم ناسب التضعيف في (نَجَّيْنَاكُمْ) وأيضا فهو مناسب للتضعيف في (يُذَبِّحُونَ) والأعراف إنما فيها (يُقَتِّلُونَ) فرُوعِيَ مناسبة اللّفظ فيما بعد، والمعنى فيما قبل[١٠٢].

- **المناسبة بين ختام آيتين في سياق واحد:** فعند تفسير قوله تعالى: أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور * أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ۚ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ} [سورة الملك: ٢٠-٢١] قال: "فإن قلت: ما مناسبة تعقب الأول بقوله تعالى: {بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ}، وتعقب هذا بقوله {إن الكافرون إلا في غرور} وهلا كان الأمر بالعكس؟ فالجواب: أن النصرة دالة على العتو والقوة، وهم ادعوا ونسبوها لأنفسهم وزعموا أنهم ينصرون فلو عقب بقوله: {بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ} لتوهّم أن لهم قوة واستنصاراً لأنفسهم، فتحرز من ذلك بقوله تعالى: {إن الكافرون إلا في غرور} إشارة إلى أنهم اغتروا، فتوهموا أن لهم قوة وتجلداً وأنهم لَا يغلبون، بل ينصرون، ولما كان الرزق محققا نسبته إلى الله تعالى وهم مقرون بذلك وما ادعوا نسبته إليهم أصلا، عقبوا ببيان أنهم تعنتوا وكذبوا ونفروا، ويقال في البهائم: نفرت نفورا، وفي بني آدم: نفرت نفيرا ونفارا وقوله تعالى: {ونفور} إشارة إلى شدة جهلهم وغباوتهم أنهم فعلوا فعل البهائم في القول"[١٠٣].
- **المناسبة بين القسم والمقسم به وجواب القسم:** فعند تفسير قوله تعالى: {والضحى * وَالليل إِذا سجى} [سورة الضحى: ١-٢]، قال ابن عرفة: "فيه مناسبة قسم بالمقسم به؛ لأن النبي صل الله عليه وسلم كان يصلي وقت الضحى ويصلي في جوف الليل. قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قم اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلً } [سورة المزمل: ١-٢]، فهما وقتان ثبت لهما الفضيلة..."، ثم وأورد ابن عرفة قول القاضي عياض مناسبة القسم بالضحى لآيات السورة بأنها لتحقق مكانته عنده، فقال: "الأول: القسم له عما أخبره به من حاله بقوله تعالى: {والضحى * وَالليل إِذا سجى} [سورة الضحى: ١-٢]، أي: ورب الضحى، وهذا من أعظم درجات المبرة، الثاني: بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله: { مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى } [سورة الضحى: ٣] أي: ما تركك وما أبغضك، وقيل: ما أهملك بعد أن اصطفاك، الثالث: قوله تعالى: { وللآخرة خير لك من الأولى } [سورة الضحى: ٤]، أي:

(١٠٢)المرجع السابق (٢٧٠/١)، وانظر أيضاً: (٦٨٩/٢).
(١٠٣)المرجع السابق ، (٤٩٤/٥).

مالك في مرجعك عند الله أعظم مما أعطيناك من كرامة الدنيا. الرابع قوله تعالى: { و لسوف يعطيك ربك فترضى } [سورة الضحى: ٥]، قال ابن إسحاق: نرضيك بالصلاح في الدنيا والثواب في الآخرة. وقيل: يعطيه الحوض والشفاعة، ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يدخل أحد من أمته النار، الخامس: ما عدده عليه من نعمه في آخر السورة. السادس: أمره بإظهار نعمته عليه، وشكر ما شرفه به بقوله تعالى: ما ودعك ربك و ما قلى } [سورة الضحى: ١١] فإن من شكر النعمة التحدث بها وهو خاص به عام لأمته"(١٠٤).

- **بيان التناسب بين ألفاظ الآية:** فعند قوله تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } [سورة التغابن: ١٠]، قال البسيلي: "يرد السؤال لأي شيء رتب دخول الجنة وتكفير السيئات على الإيمان والعمل الصالح، ودخول النار على مجرد الكفر فقط؟ فيجاب: بأن الأول ترغيب في الطاعة، فناسب تكثير أسباب دخول الجنة تحريضاً على فعلها، والثاني: ترهيب وتخويف، فناسب تقليل السبب على سبيل التخويف والتنفير عنه والمعنى أن مجرد الكفر موجب لدخول النار، وإن لم يكن معه فسوق ولا فساد في الأرض ولا ظلم، فيقال للمؤمن: لَا تكتف بإيمانك، وللكافر لَا تعتقد أن مجرد كفرك لَا يضرك"(١٠٥).
- وعند تفسير قوله تعالى: { فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا } [سورة الزخرف: ٨٣] قال ابن عرفة: "الخوض إما الاشتغال بما لَا فائدة فيه فقط، واللعب الاشتغال بما لا فائدة فيه مع زيادة ضرر فيه، وأما الخوض المقاولة والمجادلة، قال تعالى { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ } [سورة الأنعام: ٦٨] واللعب بالاشتغال بما لَا فائدة فيه فقط"(١٠٦).
- **المقارنة بين بعض الآيات من حيث اللفظ والمعنى:** فعند قوله تعالى: { خُذُوهُ فَغُلُّوهُ } [سورة الحاقة: ٣٠]، قال البسيلي: "إن قلت: لأي شيء روعي في آية أهل اليمين لفظ:{ ؤُ } ومعناها، فقيل: { كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ } [سورة الحاقة: ٢٤]، وهنا روعي لفظها فقط؟ فالجواب: أن أهل اليمين المطلوب تكثيرهم فناسب الجمع، وأهل الشمال المطلوب تقليلهم فناسب الإفراد، وإن كانوا باعتبار الوجود أكثر عدداً"(١٠٧).

---

(١٠٤) تفسير ابن عرفة، (٥٨٦/٥)، وما نقله ابن عرفة عن القاضي عياض ففي: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (٩٦،٩٥/١).
(١٠٥) تفسير ابن عرفة، (٤٦٤/٥).
(١٠٦)المرجع السابق ، (١١٦/٥).
(١٠٧) تفسير ابن عرفة، (٥١٢/٥).

- **المقارنة بين آيتين متشابهتين تختلف إحداهما عن الأخرى بزيادة كلمة:** فعند قوله تعالى: { وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ } [سورة الصافات: ١٦]، قال: زاد هنا عظاما وأسقطها في سورة (ق)، فقال تعالى: { أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ.} [سورة ق: ٣]، فأجاب بعضهم: بأن هذا كلام ابتدأ به المسلم، فقال: وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ } [سورة الواقعة:٤٧] نحيا ونُبعث؛ فأنكر ذلك عليه قومُه وأعاد كلامه على ما هو عليه بأداة الإنكار، والمسلَّم كلام النبي أن عظام بني آدم كلها تفنى إلا عَجْب الذَّنَب، وهو قُدِّر بغرز إبرة؛ فلذلك قال: {وَعِظَامًا}، وفي سورة (ق) حكاية عن كلام كافر ابتدأ من غير أن يتقدمه شيء"[١٠٨].

المطلب الرابع: تنوع العلوم التي تضَمَّنَها تفسيره وهي كثيرة ومنها:

مناقشته أقوال المفسرين ونقدها: فعند تفسير قوله تعالى: { لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ..} [سورة البقرة: ٢٨٤]، قال ابن عرفة: "والكفر خارج من هذا لقول الله تعالى: { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما } [سورة النساء: ٤٨]، وحكى ابن عطية عن ابن عباس ﷺ وجماعة أنها لما نزلت قال الصحابة: «هلكنا إن حوسبنا بخواطرنا»، فأنزل الله: { لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت } [سورة البقرة: ٢٨٦]، فمنهم من جعلها ناسخة، فصح النسخ، وتشبه الآية حينئذ قول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} [سورة الأنفال: ٦٥]، ثم نسخت بصبر المئة للمائتين. قال ابن عرفة: آية الأنفال ليس فيها إلا النسخ لأنّه رفع كلّ الحكم، وآيَتُنَا هذه تحتمل النسخ والتخصيص كما قال بعضهم"[١٠٩].

ذكر بعض القواعد الأصولية، والاستدلال عليها أحياناً: فعند تفسير قوله تعالى: {فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ } [سورة البقرة: ٦٨] قال ابن عرفة: "اختلف الأصوليون في لفظ الأمر هل هو أبلغ من صيغة (افعل) أو لا؟ فقيل: إنّ أمرتك بالقيام أبلغ من قم، لأن صيغة افعل، قد تكون للإباحة كما في قوله جل ذكره : {ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا} [سورة المائدة: ٢]، وللوجوب بخلاف الأمر، فإن لفظ: (أمرتك) لا يكون للإباحة. وقيل: إن قم أبلغ، واستدلوا بهذه الآية. فلولا أنه أبلغ لما احتيج إلى قوله { فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ } وإلا كان يلزم عليه تأكيد الأقوى بالأضعف؟ والجواب بأن القرينة هنا أفادت أن صيغة (افعل) للوجوب، فهو من تأكيد الأقوى بالقوي. واحتجّ بها بعض

(١٠٨) تفسير ابن عرفة، (٨١٤/٤).
(١٠٩)المرجع السابق ، (٧٥٧/١).

الأصوليين على صحة تأخير البيان عن وقت الحاجة. وقال الآخرون: بل هو تأخير إلى وقت الحاجة"(١١٠).

وعند تفسير قوله تعالى: { ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ } [سورة البقرة: ٧٤]، قال: "جعل الزمخشري العطف بـ(ثم) لبعد ما بين منزلة الإيمان والكفر. قال ابن عرفة: "ولا يبعد أن تكون على بابها. فرد عليه بأن جعل (من بعد ذلك) لابتداء الغاية فتناقض مهلة (ثم)؟ فأجاب بأن دلالة (ثمّ) على المهلة نص لا يحتمل غيره، فهو أقوى من دلالة (مِن) على ابتداء الغاية. وقال ابو حيان: "السياق يقتضي أنها لبعد ما بين المهلتين"(١١١). ورده ابن عرفة بأن الأصوليين رجّحوا الدلالة باللّفظ على الدلالة المفهومة من السياق"(١١٢).

الكلام في بعض المباحث الأصولية كالنسخ والتخصيص: فعند تفسير قوله تعالى: {ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون } [سورة البقرة: ٢٧٢]، قال ابن عرفة: "الخطاب خاص بالنبي أو عام له ولسائر المؤمنين، كقوله تعالى: { وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ } [سورة السجدة: ١٢]، { قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون } [سورة سبأ: ٣١]، وهو راجع إلى الخلاف الّذي حكاه ابن عطية لأن ما نقله عن سعيد بن جبير وعن النّقاش يقتضي الخصوص وما نقله عن ابن عباس يقتضي العموم..." إلى أن قال: "وعلى تقدير الخصوص يستلزم العموم فهو خصوص لأنه إذا رفع التكليف عن النبي الذي هو رسول مأمور بالتبليغ والدعاء إلى الإيمان فأحرى أن يرفع عمن سواه. قال ابن عطية: ذكر النّقاش أن النبي أُتِيَ بصدقة فجاءه يهودي فقال: أعطني. فقال له: (ليس لك من صدقة المسلمين شيء)(١١٣)، فذهب اليهودي غير بعيد فنزلت الآية، فدعاه رسول الله ثم أعطاه، ثم نسخ الله ذلك بقوله: { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } [سورة التوبة: ٦٠]، قال ابن عرفة: "هذا ليس

---

(١١٠)تفسير ابن عرفة، (٣٠٨/١).

(١١١)المرجع السابق ، (٣١٨/١).

(١١٢)المرجع السابق ، (٣١٨/١).

(١١٣) لم أقف على هذا الحديث، والله أعلم أن هذا غير صحيح لأن الله تعالى بعث النبي ﷺ رحمة للعالمين، فقال: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) قد كان صلى الله عليه وسلم رحمة مهداة. وفي كتاب الأموال للقاسم بن سلام قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، عَنِ ابْنِ لَهِيعَةَ، عَنْ زُهْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «تَصَدَّقَ صَدَقَةً عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَهِيَ تُجْرَى عَلَيْهِمْ» كتاب الأموال للقاسم بن سلام، باب إعطاء أهل الذمة من الصدقة، رقم: ١٩٩٣، (٧٢٨/١)

بنسخ، ولكن المتقدمين يطلقون عليه نسخا والمتأخرين يقولون: العام إن عمل به ثم ورد بعد ذلك خاص فهو نسخ له وإن ورد الخاص بعده وقبل العمل به فهو تخصيص لا نسخ"[١١٤].

تنوع اختياراته الفقهية والأصولية وتوسطه في تناولها: فعند تفسير قوله تعالى {يادواد إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب } [سورة ص: ٢٦]، قال ابن عرفة: "قد يؤخذ منه جواز تعليل الحكم بعلّتين مستقلتين؛ لأن حلول العذاب بهم يعلل باتباعهم الهوى المضل عن سبيل الله، ونسيانهم يوم الحساب سبب في ضلالهم، فالعلتان متداخلتان في علة واحدة"[١١٥].

الإشارة إلى علم الفلك والوقوف على ما يدل عليه ظاهر الآيات أو ما هو مشاهد معروف من هذه العلوم، مع عدم الإكثار من ذلك، ومنه ما جاء عند تفسير قوله تعالى: { لله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى } [سورة الرعد: ٢] قال ابن عرفة "وجهه أن السنة ثلاثمائة وستون يوماً، ونصفها مئة وثمانون، فهو في نصف السنة سيقطع ستة بروج صاعداً أو هابطاً، فيمشي في نظائر تلك البروج، فما مجاريها في الحقيقة إلا ستة بروج". إلى أن قال: "وهذا مذكور في علم الهيئة[١١٦]"؛ ثم حكى بعض كلام أهل الفلك، أمثال عبد الحق المنجم فقال: "قال عبد الخالق: وكنت أسمع من الشيوخ أن في الأرض خمسة أقوال: قيل: كروية وقيل: بسيطة وقيل: إنها تشبه مكعبًا وقيل: بمنزلة حميلة السيف الذي تقلد به وإنها تشبه حلقة محيطة بهذا العالم كإحاطة الحميلة بمن تقلد بالسيف، وقيل: إنها شبه سمكة ومن أجل ذلك وضعوا الإسطرلاب[١١٧] الحوتي الجنوبي، قال: "والصحيح عندهم إنها كرويةوإن السماء كروية." ثم قال بعدها في قوله تعالى: { يغشي الليل النهار } [سورة الرعد: ٣]: "استدل بعضهم بهذا على أن الأرض بسيطة، ولا دليل له في ذلك لأن إقليدس المهندس قال: إن الكرة الحقيقية لَا يمكن إقامة الزوايا والخطوط عليها بوجه ونحن نجد الأرض يقام عليها

---

(١١٤) تفسير ابن عرفة، (٧١٠/١) وما بعدها.

(١١٥)المرجع السابق ، (٨٥٣/٤).

(١١٦) علم الهيئة: معرفة تراكيب الأفلاك والأرض. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي، تحقيق أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب - القاهرة / مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ (ص: ١٣٩)

(١١٧) الإسطرلاب: آلة يقاس بها ارتفاع الكواكب. اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد علي السَّراج، دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ (ص: ٢٣٥).

الخطوط وغير ذلك وتراها مستوية وذلك من أول دليل على أنها -وإن كانت كروية- فإنها ليست كالكرة الحقيقية، بل أعلاها مستو كبعض الكور التي تكون مسطحها مستويا"(١١٨)

الخاتمة :

- يعتبر تفسير ابن عرفة تفسيرًا جامعًا بين المنقول والمعقول، فقد أورد علم الكلام والمنطق والعلوم العقلية في تفسيره، بالإضافة إلى ذكر أسباب النزول وتفسير القرآن بالقرآن وتفسيره بالحديث النبوي وأقوال الصحابة والتابعين.
- يطرح بعض القواعد الأصولية، وامتاز منهجه الفقهي بسعة علمه مع عدم التعصب للمذهب المالكي.
- يعد تفسير ابن عرفة من أهم مصادر التفسير البلاغي.
- ظهر اهتمامه بجانب اللغة، واستشهاده بالشعر وأقوال العرب.
- عنايته بعلم المناسبات وتوجيه القراءات، وبان جليًّا توجيهه للمتشابه اللفظي في تفسيره.

أبرز التوصيات:

١. دراسة منهج ابن عرفة دراسة مقارنة مع إمام من أئمة التفسير المتقدمين كمنهج ابن كثير¬ في التفسير، باعتبار تفسير ابن كثير في التفسير بالمأثور.
٢. دراسة منهج ابن عرفة دراسة مقارنة مع إمام من أئمة التفسير المتأخرين كمنهج ابن عثيمين ¬ في التفسير، وقد تمت دراسة منهج ابن عثيمين على انفراد من قبل.
٣. دراسة أغراض التوجيه عند علماء التفسير ابن عرفة أنموذجًا.

(١١٨) تفسير ابن عرفة (٣/٤٨٠،٤٨١،٤٨٢).

المصادر والمراجع:

١. إنباء الغمر بأبناء العمر، أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ت:٨٥٢ه، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية:١٤٠٦ه.

٢. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٣. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت،الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ

٤. تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (المتوفى: ٤٤٢هـ)، ت: عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، القاهرة، الطبعة: الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٥. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) الخطيب لبغدادي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

٦. تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ (المتوفى: ١٤٠٨ هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، ١٩٩٤ م.

٧. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ت: ٨١٦هـ، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ه

٨. تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة، محمد بن عبد الله الخضيري، دار الوطن.

٩. التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، محمد بن رزق بن عبد الناصر بن طرهوني الكعبي السلمي أبو الأرقم المصري المدني، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى:١٤٢٦ه.

١٠. التفسير ورجاله، محمد الفَاضِل بن عاشور، عضو مجمع البحوث الإسلامية ومفتي الجمهورية التونسية الأسبق - رحمه الله -

١١. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس،ت: ٦٨هـ، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ت: ٨١٧هـ، دار الكتب العلمية - لبنان

١٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى١٤٢٢ه.
١٣. درر المعرفة من تفسير الإمام ابن عرفة (المتوفى٨٠٣ه) ، جمعها نزار حمادي، دار الإمام ابن عرفة -تونس- ودار الضياء -الكويت-، ١٤٤٣ه.
١٤. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون اليعمري، ت:٧٩٩ه، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة.
١٥. ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب، أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم العجمي الشافعيّ الوفائي المصري الأزهري، شهاب الدين (المتوفى: ١٠٨٦هـ)، تحقيق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ ه.
١٦. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (المتوفى: ١٣٦٠هـ)، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان،الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ ه
١٧. شذرات الذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، ت: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ.
١٨. شرح حدود ابن عرفة للرصاع= الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، محمد بن قاسم الأنصاري، أبو عبد الله، الرصاع التونسي المالكي (المتوفى: ٨٩٤هـ)، المكتبة العلمية، الطبعة: الأولى، ١٣٥٠هـ.
١٩. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، ت:٥٤٤ه، دار الفيحاء، عمان، الطبعة الأولى١٤٠٧ه.
٢٠. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، ت:٣٩٣ه.
٢١. صحيح البخاري= الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، ت: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ٤٢٢هـ

٢٢. صحيح مسلم مع شرحه المسمى إكمال إكمال المعلم، للإمام أبي عبد الله محمد بن خليفة الوشتاني الأُبي، المتوفي: سنة٨٢٨ه، وشرحه المسمى: مكمل إكمال الأكمال، للإمام أبي عبد الله محمد بن محمد يوسف السنوسي، المتوفى سنة٨٩٥ه، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٣. صحيح مسلم= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري:ت ٢٦١هـ،ت:محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث، بيروت.
٢٤. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ت:٩٠٢ه، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
٢٥. طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، ت:٩٤٥ه، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٦. طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (المتوفى: ٣٧٩هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعارف- القاهرة، الطبعة الثانية.
٢٧. العقيدة الواسطية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المحقق: محمد بن عبد العزير بن مانع. الناشر: مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: بدون طبعة أو عام نشر
٢٨. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، حاشية الطيبي على الكشاف، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ ه.
٢٩. الفرق بين الحروف الخمسة، البَطَلْيَوْسِيُّ رحمةُ اللَّهِ عليه، [هذا الكتاب من كتب المستودع بموقع المكتبة الشاملة].
٣٠. فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: إحياء التراث العربي، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٣١. فهرست الرصاع، أبي عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري، المتوفي:٨٩٤ه.
٣٢. قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر للطيب بامخرمة ت: بو جمعة مكري، خالد زواري، دار المنهاج، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ.

٣٣. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،
٣٤. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ)، مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)١٩٤١م
٣٥. اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد علي السَّراج، دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ (ص: ٢٣٥).
٣٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٢ه.
٣٧. المختصر الكلامي لابن عرفة، تحقيق: نزار حمادي،١٤٣٤ه.
٣٨. معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، ليسانس ودبلوم صحافة، رئيس مصلحة الصحافة والنشر (سابقا) في الجزائر قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.
٣٩. معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: ٣٥٠هـ) تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٤ هـ
٤٠. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب - القاهرة / مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ه.
٤١. مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٢٠ه.

٤٢. المقدمات الممهدات، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، ت:٥٢٠ه، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٨ه.
٤٣. منتهى الوصول والأمل، في علمي الأصول والجدل، جمال الدين أبو عمرو عثمان بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب، ت٥٧١ه، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ه-١٩٨٥م.
٤٤. منهج ابن عرفة في الاستشهاد بالشاطبية في تفسيره: دراسة استقرائية، مها عبد العزيز عبد الغني الحبار، مجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة، ع٣٦، كلية الإمام الأعظم، بحوث ومقالات،٥٧١-٥٩٣، ٢٠٢١م.
٤٥. منهج الإمام ابن عرفة في توجيه القراءات من خلال تفسيره، عبد الله بن خالد بن سعد الحسن، مجلة العلوم الشرعية، ع٦٦، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بحوث ومقالات، ٨١- ١٦٤، ٢٠٢٢م.
٤٦. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، المقريزي، ت:٨٤٥ه، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٤١٨ه.
٤٧. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة ١٤٢٠ه.
٤٨. نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،محمود مقديش، علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان،الطبعة: الأولى، ١٩٨٨ م
٤٩. نظرية التفقه عند ابن عرفة وأثرها في الاجتهاد، مقتيت عبد القادر، مجلة الشهاب، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي،٢٠١٩م.
٥٠. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي السوداني، ت:١٠٣٦ه، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، الطبعة الثانية:٢٠٠٠م.
٥١. الوافي بالوفيات، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر: ٢٠٠٠م،
٥٢. الوفيات، أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني، ت:٨١٠ه، المحقق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الرابعة: ١٤٠٣ه.